لم يودِّع النعمانُ زوجته وولده في هذه المرة قلقًا حيران، قد توزَّعَته التبِعات؛ فقد خلَّفَ على أهله في هذه المرة رجلين يقومان بأمرهم، هما عتيبة ابنه، وبشير ابن أخيه، وقد كشف لزوجه عن ذات صدره في أمور لم يكشف لها عن مثلها من قبل، وتحدث إلى أمه وامرأة أخيه وولديها أحاديث ذات بال في شئونٍ شتَّى، لم يُصرِّح بكلِّ ما في نفسه، ولكنه مهَّد تمهيدًا لبعض الأمر، ووضع في الأرض الطيبة بذرةً يرجو لها النماء … ثم وثب إلى ظهر فرسه ومضى …

وكان فتى وفتاة يتبعانه بأعين دامعة وقلباهما يَجِفَان، ثم لم يكد يغيب الراكب المُغِذُّ حتى التقت أعينهما في نظرة طويلة، ثم أنغَضَت الفتاةُ رأسها وأنغض الفتى،[١٧] واتخذا طريقهما صامتَين إلى الدار.

[١٧] أنغض: طأطأ رأسه.